الهوآء السائل

معلومٌ ان للاجسام ثلاث حالات وهي الجمود والسيلان والغازيّة وهي تتقلب بين هذه الحالات تبعاً لدرجة الحرارة وتفاوتها ارتفاعاً وانخفاضاً لان الحرارة كلما ازدادت على الجسم تخلخلت اجزآؤهُ وضعُف تماسكها فسال او تبخر وكلما قلّت تضامّت تلك الاجزآء وتلززت فجمد. الاّ ان من الاجسام ما هو سهل الانتقال من حالةٍ الى اخرى فيتحول الى الجمود او الغازيّة باقلّ انحطاطٍ او ارتفاع في درجة حرارتهِ كالشمع ومنها ما لا يتمّ هذا التحوّل فيهِ الاّ على درجة عالية او سافلة كالخلّ مثلاً فانهُ لا يتبخر الاّ على ١٢٠° وكمتصعد الكبريت المعروف بالحامض الكبريتوس فانهُ يكون غازاً على الدرجة المعتادة ويسيل على ١٠° تحت الصفر

على أن تحويل الجوامد الى سوائل او غازات اسهل من عكسهِ اذ ليس عندنا في الحال الطبيعي ما يبلغ فيهِ البرد ان تماسك اجزآء بعض انواع الغاز المتناهية في التخلخل ولذلك عمدوا في تسييل بعض الغازات الى التبريد الصناعي والضغط لان كليهما مما تتضامّ بهِ دقائق الجسم . واول من عمد الى ذلك الكيماويّ فاراداي الانكليزي فامتحنهُ في الغاز الكربونيك بأن عرّضهُ لدرجة الصفر من البرد وسلّط عليهِ من الضغط ما يوازن ٣٦ ضعفاً من قوّة الضغط الجويّ فرشح منهُ سائل يسير . ثم اخترع تيلورياي الفرنسوي آلةً للضغط اوصل بها الغاز المضغوط الى $\frac{١}{٧٥}$ من جرمهِ المطلق فسال ثم عرّضهُ للتبخّر فطرأ عليهِ من البرد ما نزل بهِ الى ٧٠° تحت

الصفر فجمد

وقد استقروا هذا الامتحان في جميع انواع الغازات فامكن تسييلها ما خلا خمسةً منها هي الاكسيجين والازوت والهدروجين وثاني اكسيد الازوت واكسيد الكربون فانها امتنعت من السيلان حتى قام في اعتقادهم زمناً طويلاً ان ذلك محالٌ فيها وانهُ لا بدّ من استثنآئها من طبيعة سائر الاجسام . غير انهم ما برحوا مثابرين على متابعة الامتحان الى ان كان شهر دسمبر من سنة ١٨٧٧ فوُفّق المسيو كايتاي الفرنسوي الى تسييل ثلاثةٍ منها وهي ثاني اكسيد الازوت والاكسيجين واكسيد الكربون وفي نحو ذلك العهد فُتح على المسيو بُكتاي من علمآء سويسرا بأن توصل الى تسييل الاكسيجين والهدروجين

وكانت طريقة كايتاي انهُ برّد الغاز الى نحو ٣٠° تحت الصفر ثم جعلهُ تحت ضغطٍ يعدل ٣٠٠ ضعف من الضغط الجوّي فلم يستبن فيهِ تغيّر ثم عرّضهُ وهو في هذه الحالة من الضغط للتبخّر فما لبث بعد انطلاق البخار منهُ ان هبط الى ـ ٢٣٠° وهي من اقصى درجات البرد وعند ذلك استحالت العناصر الممتنعة الى السيلان ثم صارت الى الجمود . واما بكتاي فلم يستخدم التبخّر ولكنهُ عالج الغازين المذكورين بأن عرّضهما مباشرةً للبرد والضغط الشديدين بحيث بلغ البرد الى ـ ١٤٠° والضغط الى ٦٥٠ ضعفاً من الضغط الجوّي

ثم ان المسيو كايتاي عمد الى امتحان طريقتهِ في الهوآء الكروي فرشح منهُ سائلٌ ضعيف ثم جعل يزيد الضغط عليهِ شيئاً فشيئاً حتى تكامل

سيلانهُ ثم اخذ في التجمد فاستحال الى شبه كتلةٍ من القطن

ومذ ذاك تكاثرت ضروب الاختراع للآلات المسيّلة للهوآء حتى بلغت قوّة الضغط في آخر جهازٍ استُنبط منها الى ٢٠٠٠ ليبرة على العقدة المربّعة من الهوآء بقوّةٍ تعدل قوّة ٤٠ الى ٥٠ فرساً. وهذا الجهاز يتمّ تسييل الهوآء فيهِ في اقلّ من ١٥ دقيقة ويبلغ مقدار ما يسيَّل منهُ من ١٥٠ الى ١٨٠ لتراً في ١٠ ساعات . واما صفتهُ فانهُ مؤلف من ضاغط ومبرّد والضاغط مؤلّفٌ من ثلاث مضخّات الاولى بقوّة ٦٠ ليبرة والثانية تبلغ الى ٧٥٠ ليبرة والثالثة الى ٢٠٠٠ وعقب كل ضغطٍ يسرَّب الهوآء في انابيب مغشّاة بغلافٍ غير موصل للحرارة حيث يبرّد بالمآء وبعد الضغط الثالث يدفَع الى المبرّد وهو انبوبٌ في طرفهِ لهاةٌ[1] يحيط بهِ انبوبٌ آخر اوسع منهُ فيُطلَق شيءٌ منهُ من اللهاة المذكورة الى الانبوب الخارجي فيتمدد ما أُطلِق منهُ وبهذا التمدد يُمتصّ جانبٌ كبيرٌ من حرارة الهوآء المنضغط في الانبوب الداخلي فيكون ذلك كافياً لتسييلهِ

على ان هذا السائل سريع التبخر في الحال فاذا راموا حفظهُ مدةً جعلوهُ في قابلة من القصدير مغشّاةٍ باللبد فيبقى عدة ساعات في حالة السيلان بحيث ان القابلة اذا كان فيها ١٢ لتراً لا تتبخر بجملتها في اقل من ٨ الى ١٠ ساعات . واخترع الاستاذ ديوار لحفظهِ قارورةً من الزجاج ذات جدارين

---

(١) ضربٌ من السداد يُجعَل على منفتَح انبوبٍ ونحوهِ يفتح من احدى جهتيهِ ويُطبق من الاخرى بحيث انهُ كلما ازداد الضغط عليهِ من تلك الجهة استحكم اطباقهُ. تعريب Valve

احدهما ضمن الآخر وقد فُرّغ ما بينهما تفريغاً تاماً فامكن ان يبقى الهوآء هناك على سيلانهِ مدة ٥٠ ساعة فما فوق

ولما توفر لهم الحصول على مقادير وافرة من هذا السائل اخذوا يجرون فيهِ ضروباً من الامتحان كانت كلها غريبة . فمن تلك الامتحانات انهم افرغوا منهُ في انآء من الزجاج فغلى غلياناً شديداً في الغاية حتى كان ينفت اي يتطاير من شدّة الغلي الى مسافةٍ بعيدة ولم يزل جيشانهُ متواصلاً الى ان تبرّد الانآء وتساوت درجتهُ ودرجة السائل فسكن . غير انهُ بعد سكونهِ كان كدراً بما خالطهُ من دقائق الحامض الكربونيك وما تخللهُ من الجمد على اثر ذلك التبخر الشديد فصُفّي برشّحةٍ من الكاغد فكان لهُ بعد ذلك لونٌ رائق كالمآء الزلال يضرب الى زرقةٍ خفيفة

ومن تلك الامتحانات انهم سكبوا منهُ شيئاً على قطعةٍ من الثلج فتبخّر تبخراً عنيفاً حتى كان يُسمَع لهُ نشيشٌ اشبه بصوت المآء اذا سُكب على حديدٍ محمًى وذلك ان اعلى درجات الهوآء السائل ١٩١° تحت الصفر الذي هو درجة انعقاد الثلج ومعلوم ان المآء يغلي على ١٠٠° فوق الصفر فتكون المسافة بين الهوآء السائل والثلج اكثر مما بين الثلج والمآء الغالي باحدى وتسعين درجة

ومع هذا البرد المتناهي فانهُ يمكن ان تغمس فيهِ اليد بدون ان تشعر لهُ بقرسٍ شديد لان حرارة اليد تسرع في تبخيرهِ حتى ينتشر عليها شبه غيم من البخار غير انهُ اذا لاقى الجلد بدون ان يكون لهُ سبيلٌ الى التبخر كان عنهُ حرقٌ أليم لا يقاس بهِ حرق النار وقد حدث ذلك مرةً

لبكتاي فانهُ اصابهُ حرقٌ بالنار وبالهوآء السائل فبرئ من حرق النار في مدة عشرة ايام واما الحرق الثاني فبقي سائلاً مدة ستة اشهر

واذا غُمس الحديد في هذا الهوآء حتى يصير في درجة بردهِ اصبح قَصِماً كالزجاج فاذا ضُرب بهِ على مائدة او سقط من عُلوٍ ذهب قِطَعاً وبخلافهِ النحاس والبلاتين فانهما لا يبلغ البرد منهما هذه الدرجة . وقد امتحنوا ذلك في كرةٍ من المطّاط (الكاوتشوك) ثم قذفوها على حائط فسقطت فتاتاً

ومن غريب امتحاناتهم فيهِ انهم غمسوا انبوباً مملوءاً منهُ في كأس من الوسكي فلم يلبث الا بضع دقائق حتى تجمّد الوسكي فاصبح ثلجاً قاسياً . واغرب منهُ انهم افرغوا مقداراً من الزئبق في قالبٍ من الورق مكعب الشكل وادخلوا في اعلى القالب واسفلهِ لولبين برغيين) شديدين في طرف كلٍّ منهما عروة ثم غمسوا هذا القالب في اناء مملوء من الهوآء السائل فلم يلبث الزئبق ان جمد في الحال لان الزئبق يجمد على ٣٩،٥° تحت الصفر فاخرجوهُ منهُ وقد أُمسك اللولبان فيهِ فصارا معهُ كقطعةٍ واحدة ثم علقوهُ من احدى العروتين وناطوا بالعروة الاخرى ثقلاً عظيماً فبقي الثقل محمولاً بهِ ما ينيف على ٢٠ دقيقة حتى انحلّ الزئبق وعاد الى السيلان

اما مقدار تقلص الهوآء بعد الضغط المذكور فانهُ ينتهي الى $\frac{١}{٧٤٨}$ من جرمهِ وهو في حالة الاطلاق وقد امتحنوا قوة تمددهِ بان اتخذوا انبوباً من النحاس قطرهُ ٥ سنتيمترات وثخنهُ ٣ ميليمترات وافرغوا فيهِ ٦٠ غراماً من الهوآء السائل ثم سدّوهُ بسدادٍ من خشب ادخلوهُ بضرب المطرقة فما

كاد يرتفع الضرب عن السداد حتى طار بقوّة هائلة وتصدّعت فوّهة الانبوب

اما فوائد هذا الاكتشاف فلم يظهر منهُ الى الآن ما يمكن الانتفاع بهِ سوى ما ارتآهُ بعضهم من امكان التذرع بهِ الى ادخال الهوآء النقي حيث لا سبيل الى ادخال الهوآء المطلق كالآبار والمواضع العفنة المحجوبة عن الهوآء وتبديل الهوآء في غُرَف الاعلآء حين لا يمكن اطلاق الهوآء الكرويّ فيها وهذه ولا جرم من اعظم الفوائد وآكدها ولكن هناك فائدة اخرى علمية وهي اطلاق القول بان جميع الموادّ قابلة للاطوار الثلاثة المذكورة وهي الغازية والسيلان والجمود

خواطر مستطرفة

في الموسيقى

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

— ١ —

الموسيقى لغةٌ تتفاهم بها النفوس الفاظُها الانغام وجملها الالحان . واذا كانت الملامح البدنية لغة العواطف القلبية والانفعالات النفسانية فالالحان اشعار تلك اللغة تتناشدها هذه العواطف والانفعالات. فبالموسيقى تخاطب قلوب الانام وبالحانها يعبر عن معاني الغرام وعلى سلّمها تتصاعد الاحساسات الحبية وعلى اجنحة الغناء ترتقي الافكار الى المراتب العلوية . وهي سمر المتسامرين ونديم المصطبحين والمغتبقين وتعزية الحزانى

وسلوة المكتئبين وهي المخدّر الذي ينوّم الاطفال والمحمّس الذي يدفع الجيوش الى ساحات القتال وهي الحادي الذي يُنسي مشاقّ الاسفار وينشّط على قطع الانجاد والاغوار وهي بريد الحب بين العشاق ورسول المغرم المشتاق

٢

والموسيقى من اقدم الاشيآء عهداً في تاريخ الانسان فقد ذكر في التوراة ان توبال قايين كان اول ضاربٍ بالعود ولعلّ ابانا آدم سمع العزف على العود من حفيدهِ توبال المذكور . ولا نظن ان امةً من الامم اغفلت هذا الفن مهما كانت متوغلة في البداوة لانهُ اقرب ما يُكتسَب بتقليد الظواهر الطبيعية المحيطة بالانسان ولا يُستبعد ان الغنآء نشأ مع اللغة وكان فرعاً منها واستُخدِم في اول امرهِ للتعبير عن الانفعالات والعواطف ثم استقلّ عن اللغة وصار فنّاً قائماً بنفسهِ .

ولا ريب في ان الموسيقى كانت في اول عهدها مقصورة على الصوت الطبيعي ثم فطن الانسان لاستعمال الآلات من سماعهِ صفير الهوآء المتزاحم في الخصاص والثقوب او وُفّق اليهِ بالنفخ اتفاقاً في انابيب القصب ونحوها وبالضرب على اوتار القسيّ وما اشبه

وبما ان الموسيقى من كماليات الانسان لا ضرورياتهِ كان اتقانها تابعاً لارتقآئهِ في سلم المدنية والحضارة فكلما كانت الامة موسرةً عكفت على هذا الفن لانهُ من جملة احوال النَعمة والترف . قال ابن خلدون « لا يحدث الغنآء الا في العمران متى توفر وجاوز الحد الضروري الى الحاجي وصناعتهُ

لا يستدعيها الا من فرغ من حاجاتهِ الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل » ولانها من الفنون الطبيعية الرياضية فقد بحث فيها الفلاسفة الاوائل والاواخر فاهتدوا الى تعليلات مفيدة وقرروا حقائق راهنة واشتغل بها اربابها فوُفِقوا فيها الى تحسينات جمة ووضعوا لها قواعد اساسية حسنة

- ٣ -

اما تاريخها فلا يُعلم متى اصبحت الموسيقى فنًا قائمًا بنفسهِ وانما الذي يُعلم من اول عهد التاريخ انها كانت فنًا مضبوطًا عند اكثر الشعوب القديمة المعروفة . ويظن ان قدماء المصريين هم الذين وضعوا اساس هذا الفن وكان كهنتهم يجلُّونهُ جدًّا حتى عدُّوا الغناء من جملة طقوسهم الدينية واحتفالاتهم المختلفة كالافراح والمآتم واتقنوهُ حتى بلغ عندهم منزلة رفيعة واخترعوا لهُ عدة آلات موسيقية تشبه آلات العبرانيين

ثم اخذهُ الاسرائيليون عنهم في اثناء اقامتهم بمصر . وكان عندهم فرعًا من فروع شعائرهم الدينية كما كان عند المصريين ولهذا كانوا يؤلفون جوقة للغناء والعزف على الآلات. وقد اشتهر بينهم داود النبي بنظم النشائد وآساف وهيمان ويدوثون رؤساء المغنين بايقاع الحانها . ويظهر ان الموسيقى كانت في طبقةٍ عالية من الكمال عند العبرانيين بدليل استعمالهم احسن الآلات التي لم تزل في مقدمة الآلات الموسيقية حتى الآن كالعود والمزمار ونحوهما . ومن استقرى الآلات الموسيقية الحاضرة يرى انها هي آلاتهم القديمة نفسها الا ان المتأخرين ادخلوا عليها بعض التحسين وما اخترعوهُ منها فانهُ مبنيٌّ على مبدأ القديم كالبيانو والارغن فان الاول على مبدإ القيثار والثاني على

مبدإِ المزمار الا انهما اسهل استعمالاً واحكم تركيباً

واخذهُ اليونان عن المصريين ايضاً ولعل ذلك كان في عهد أمَسيس احد فراعنة الدولة السادسة والعشرين الذي اباح لليونان التعامل مع المصريين في التجارة وغيرها . وهؤلاء تفننوا فيهِ فبلغ عندهم مبلغاً سامياً وبحث فيهِ فلاسفتهم كما بحثوا في سائر العلوم ويقال ان سقراط نفسهُ كان يطرب عشراءهُ بغنائهِ

ثم نقلهُ العرب عن اليونان كما نقلوا عنهم سائر العلوم وكان لهم قبل ذلك غناء يعرف بالنصب ولم نجد من عرّفهُ تعريفاً يفيد حقيقتهُ وفيما نُقل عن علاّمتنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي انهُ كان من اللحن المعروف بالسلمك رواهُ حضرة ولدهِ العلامة الفاضل صاحب هذه المجلة . ويقال ان اول من اشتهر بالغناء عندهم قينتان يقال لهما الجرادتان كانتا تغنيان النعمان ابن المنذر وقيل كانتا بمكة . ولما انتقل العرب الى الحضارة على عهد الاسلام سمعوا تلحين الفرس والروم للاصوات فلحنوا عليها اشعارهم واوقعوها على المعازف والمزامير . وما زالت هذه الصناعة تتدرج عندهم الى ان كملت في ايام بني العباس

ثم اتصلت من العرب بالغربيين فاخذها الاتراك اولاً ومنهم انتشرت في كل اوروبا وانتقلت مع الاوربيين الى اميركا وانتشرت في سائر مستعمرات الدول الاوربية

وكانت الالحان قديماً تحفظ بالسماع على ما يظن ولم يكن لها ضابط فلما اشتغل بها الاوربيون وضعوا لها علامات يستطيع كل من ينظر اليها ان

يغني اللحن او يعزف بهِ بدون ان يسمعهُ كما يستطيع القارئُ ان يلفظ الكلام المكتوب بدون ان يسمعهُ من قبل حتى ان بعض الماهرين في فهم العلامات لكثرة المزاولة يطربون من الالحان اذا نظروا الى علاماتها بدون ان يغنوها كما يلتذ القارئُ بفهم ما يقرأُ بدون ان يتلفظ بهِ

اما الموسيقى الشرقية فاول من غنى بها الصينيون ويظنّ بعضهم انهم اسبق اليها من المصريين وقد اشتغل بها كنفوشيوس فيلسوفهم المشهور وكان ملوكهم يعتنون بها ويحثون على درسها ولم تزل حتى اليوم زاهية زاهرة عندهم ولهم فيها تآليف واوضاع ومباحث جديرة بالاعتبار . وانتشرت عنهم الى اليابان والهنود حتى وصلت الى الفرس فتفننوا فيها كثيراً ووضعوا فيها الحاناً بديعة وميزوا بين ضروب الالحان كما يستدل عليهِ من اسمآئها في الموسيقى الحاضرة مما يدلُّ على ان العرب استفادوا من موسيقى الفرس فوائد عديدة ولعل الفضل في جمال الموسيقى العربية راجع اليهم والله اعلم

(ستأتي البقية)

كذب المنجمون ولو صدقوا

لحضرة الاديب قاسم افندي الهلالي مهندس في ري الوجه القبلي

حديثٌ ثبتت صحتهُ واتضحت محجتهُ ودعا الى مجانبة اهل الغي والضلالة والغفلة والجهالة ممن يفتحون الكتاب ولا يدرون ما فيهِ ويخطئون الصواب ظاهرهُ وخافيهِ ويضربون الرمل وما جنى ذنباً ويشتغلون بالدجل ويجعلونهُ كسباً بئس الكسب المشؤم والاكل

المسموم فهم كالباحث عن حتفه بظلفهِ والجادع مارن انفه بكفهِ وما ضر هؤلآء الناس الانجاس ان يشتغلوا بصنعة من الصنائع او حرفة من الحرف يأكلون منها حلالاً ويُدعون بها رجالاً ويتركون هذه الخرافات والاكاذيب والترّهات وما هو الغيب الذي اطلعوا عليهِ ووصل كتابهم اليهِ وهل هو الاّ الاتفاق الذي يصادفهم بعد كل الف مرة والعبد لا يملك لنفسهِ منفعة ولا مضرة (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شآء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذيرٌ وبشيرٌ لقومٍ يعلمون)

ويا عجبا من قومٍ خيم على عقولهم عنكبوت الاوهام وعبروا اضغاث الاحلام وتحققوا الصدق من مسيلمة الكذاب وفكوا الرموز وفتحوا الكنوز بدلائل من كتاب كتابٍ كبرت صفحاتهُ وما عمت بركاتهُ فيهِ للمحبة والقبول كلامٌ غير مقبول ولا معقول وكيف يصدّق بصيرٌ عاقل اويقول متحققٌ ناقل ان جاهلاً لا يحسن قرآءة الخط ولا يميز الشكل من النقط يكتب كلماتٍ مختلة المبنى فاسدة المعنى لم يرد بها خبر ولا قام عليها اثر يطلّع على الغيوب ويقدر على ان يؤلف بين القلوب و(لو انفقتَ ما في الارض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم انهُ عزيز حكيم) وانما تلك خزعبلاتٌ يموّهون بها على عقول الجهلآء من رجالٍ ونسآء وشباكٌ يصطادون بها ارباب العقول السخيفة والمدارك الضعيفة ولوكانت نافعة كما يدعون لاختصوا بها من دونهم وما جلسوا في الطرقات واستوجبوا عقوبة المخالفات

ومن ذلك مسألة الزار المستعمل في مصر لجلب الدرهم والدينار بدعةٌ مذمومة وحالة قبيحة مشؤومة جمعية نسآء وبنات وابنآء ودق طبول بصوتٍ يذهل العقول ورقصٌ وتخلّع وبكآء وتفجّع وركوعٌ وسجود وقيامٌ وقعود وضربٌ على الخدود وموائد تُمَدّ وافواهٌ تُسَدّ وبطونٌ تُملا واكاذيب تُتلى وبخورٌ يُحرَق وروائح تعبق وخروفٌ يزيّن بحلي نفيس كانهُ العجل المعبود ابيس وغاية ما هنالك ما تسلبهُ شيخة الزار وزبانيتها الفجار من ايدي المتغفلين والأغرار فالى متى نحن متمسكون بهذه الخرافات والترّهات والى كم تستهوينا هذه الخزعبلات والتخيلات الا يكفينا ان صرنا اضحوكةً للضاحكين ومضغةً في افواه الماضغين اما آن لنا نحن المصريين ان ننظر بعين الاستبصار ونتنبه الى ما يميط عنا شعار العار الا نعلم ان ذلك كلهُ ناشئ عما احاط بنا من ظلمات الجهالة وخيم على عقول الامة حتى هامت باسرها في اودية الضلالة ولقد طالما سمعنا ندآء ذوي الغيرة في المحاشد وقرأنا ما خطّت اقلامهم على صفحات الجرائد وهم يجهدون في دعآء ارباب المكانة واليسر الى انشآء المدارس وتعميم المعارف في القطر فان كان ثمت من مجيبٍ فقبل ان يستفحل الدآء ويصير بالعليل الى حالٍ لا ينفع فيها دواء ولا يؤمل من بعدها شفآء وحسبنا بهذا ذكرى لمن كان لهُ قلبٌ او القى السمع وهو شهيد وما همّ بامر الحزم ِ قومٌ فتولّوهُ بالنظر السديد والعزم الشديد الاّ بلغوا مناهم منهُ باذن الله وما ذلك على الله ببعيد

آثار ادبيّة

الشعر العصري ـ كنا نطالب شعرآءنا بالمعاني المخترَعة والاساليب البليغة والعدول عن التراكيب الركيكة واللفظ المبتذَل فصرنا نقنع من بعضهم بالكلام المعقول والتعبير المفهوم وما كان يخطر لنا انّا سنصير الى عهدٍ نرى الشعر فيهِ ضرباً من اللغو والخلط وسردًا لالفاظٍ لا معنى لها وكأَن هذا من ابتكارات هذا العصر حتى صار طريقةً يجري عليها بعض شعرآئنا ثم لا يكفينا منهم ذلك حتى ينشروا شعرهم في الآفاق وحتى يتلقاهُ بعض من يُتخيّل فيهم التميز بين صحيح القول وسقيمهِ بالقبول والاعجاب ويكونوا هم الساعين بنشرهِ بين اهل الادب مما دلَّ على عموم الجهل بين عامة طبقات الامة ومن يُضلِل الله فلا هادي لهُ

فقد انتهت الينا في هذه الاثنآء نسخةٌ من قصيدةٍ مطبوعة قد طُيّرت مع احدى الجرائد السيّارة تتضمن مدحاً واستجداءً لبعض متقلدي المناصب ممن لا نذكر اسمهُ في هذا المجال كما لا نذكر اسم الشاعر ولكننا نكتفي بذكر بعض ابيات القصيدة عبرةً لذوي الالباب من اهل هذا اللسان وحثًا لحملة الاقلام منهم واصحاب الجرائد على الخصوص ان يقفوا سدًّا في طريق امثال هذه السفاسف الساقطة بل الفضائح الشائنة وان يبادروا لتدارك هذا الدآء الوبيل قبل استحكامهِ فقد كفى اللغة ما تسلّط عليها من دواعي الوهن والفساد واننا مع علمنا بأنها قد اصبحت على حدود اجلها ليعزّ علينا ان نراها تموت موت الهوان وهي مهشّمة الاوصال مشوّهة بضروب

التمثيل والنكال . وهذا مطلع القصيدة المذكورة قال

تأهب الى العليا فثمّ التداركُ　　ولو عنها صدّتك الرجال الصعالكُ

فلينظر المطالع ما معنى قولهِ ثمّ التدارك وما المراد بالرجال الصعالك وكيف يصدّون طالب العليا عن طلبها وانما الصعالك الفقرآء واراد بها الصعاليك جمع صعلوك فقصرها . ثم ان في هذا البيت اربع غلطات احداها في اللغة وهي قولهُ تأهب الى العليا وانما يقال تأهب للأمر ولا يقال تأهب اليهِ . والثانية في النحو وهي قولهُ ولو عنها صدّتك حيث فصل بين لو والفعل وليس هذا من المواضع التي يجوز فيها الفصل . والثالثة في الوزن وهي في قولهِ عنها فان الالف زائدة بعد ميم مفاعيلن صارت بها بوزن مفعولاتن وهذا يدلك على ان الناظم لا يحسن القرآءة ايضاً فلا يميز في نطقهِ بين حرف المدّ والحركة . والرابعة في القافية وهي قولهُ التدارُك بضم الرآء مع الصعالِك بكسر اللام وهذا مع ورودهِ في بعض شوارد النظم منصوصٌ على وجوب اجتنابهِ لانهُ عيبٌ من عيوب القافية يسمى بسناد الاشباع . على ان الجمع بين الضم والكسر قد يُتساهل فيهِ ولكنهُ لم يلبث ان قال في البيت الثاني

وشدّ على الغرّ العتاق وسر لها　　فسيرك للعليآء سيرٌ مبارَكُ

فجآء بالاشباع هنا فتحةً ومنهُ تعلم ان ما في البيت السابق جهلٌ لا تساهل. وقال بعد ذلك

فبالعزم والحزم الذي جلّ شأوهُ　　اليها فكم شدّت نياقٌ رواتكُ

الشأو الغاية والمنتهى فقولهُ جلّ شأوهُ لا معنى لهُ لان الشأو لا يوصف

بالجلالة . وقولهُ بالعزم واليها متعلقان بشدّت لانهُ يريد كم شدّت اليها نياق بالعزم وهو من فاحش الغلط لان كم من ذوات الصدر فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها فضلاً عن ان الفآء قبل كم تمنع من ذلك ايضاً . ثم قال

وحطت رحالاً في فسيح رحابها   وما شاكها بالنوض والوخدشائكُ
وبائت باسما القصد مع انما العلا   بمن امها قامت تناط المهالكُ

كذا بلفظهِ ورسمهِ وانظر ما الذي يُفهَم من هذين البيتين . وقس على ذلك سائر ابيات القصيدة مما لا يسع المقام سردهُ ونقدهُ وأغرب ما ورد فيها قولهُ في الممدوح

همامٌ براهُ الله من كل ريبةٍ   بطرس الثنا زفت اليهِ المآلكُ

يريد برّاهُ بالتشديد فأفسد وجآء المعنى ذمّاً من اقبح الذمّ واخشهِ وحسبك ان يوصف انسانٌ بان الله قد خلقهُ من كل ريبة اي من كل انواع التهم . وقريبٌ من هذا البيت قولهُ ايضاً

فاوراقهُ ورق المعاني وزهرها   واقلامهُ سمر القنا والسنابكُ

وليس للسنابك معنىً يناسب هذا المقام ولكن كثر ورودها في كلام الشعرآء بمعنى حوافر الخيل وكانهُ سمع ذكر هذه اللفظة مع الخيل وآلات الحرب فظنها شيئاً من السلاح . ومسك الختام قولهُ

لذاك بها اني بعزم وهمةٍ   مدى الدهر بالاوطار قائم باركُ

وهذا البيت من اغرب ما سُمِع من تراكيب الكلام . وهنا نسأل اولي الالباب عذراً على تعرضنا لنقد مثل هذا الشعر وهو مما لا يستحق ان يُقرأ فضلاً عن ان يُتفرّغ لتتبّع اغلاطهِ وبيان ما فيها على اننا لم ننبه من ذلك

الاّ على الشيء اليسير ممـا يكفي لاظهار منزلتهِ فيما لا يخفى على من لهُ اقل المام بعلوم الادب . ولسنا نلوم الشاعر على ان اتى مثل هذا السخف فان ذلك مبلغ ما عندهُ ولا يكلف الله نفساً الاّ وسعها ولا هو ملومٌ على تصدّيهِ للنظم وقد اصبح الشعر قُعيدّ الحاجات واحبولة الاغراض على ما اختـار لهُ اهلهُ واوصلوهُ اليهِ . ولكن الذي حدانا على كتابة هذا الفصل أنّا رأينـا هذه القصيدة على ما ابنّا من حالها مصدّرةً بعنوانٍ نخيم ظنّنا ورآءهُ ان المتنبئ قد بُعث في هذا العصر ليحيي ما عفا من دارس الشعر فلما شرعنا في تلاوتها ادركنا من القُشعريرة والانقباض ما يدرك القارئ من العجب والاستغراب اذا تلونا عليهِ العنوان المذكور بعد ما سمع من الابيات وهذه صورة العنوان بنصهِ

« نظم حضرة العالم الفاضل واللوذعيّ البارع الكامل مكرمتلو الشيخ فلان فلان افندي الفلاني من علمآء مدينة كذا قصيدةً غرّآء ـ وهي بحرفها الرائق ومعناها الشائق ... »

فلا جرم ان مثل هذا الوصف في مثل هذا الشاعر لا يُعدّ الاّ ضرباً من التغرير يجرّأ بهِ هو وامثالهُ على الاسترسال في مثل هذه الركاكات ونشرها بين اظهر القوم لا يحذر فيها رقيباً ولا حسيباً فيكون ذلك ذريعةً الى افساد ذوق الشعر وابتذالهِ بين المتطفلين عليهِ فضلاً عما فيهِ من رمي عامة الامّة بالجهل اذا كان افاضلها والقابضون على ازمّة الادب فيهـا يقبلون مثل هذا الكلام ثم يخدمونهُ بالطبع والتوزيع في اطراف البلاد بعد ان يقلدوهُ بمثل الوصف المذكور وبهذا القدر كفاية في هذا المقام والله المسؤول ان يهدينـا

جميعاً قصد السبيل ويعصمنا من الزيغ عن محجة السداد وهو حسبنا ونعم الوكيل

التحفة النصوحية في احوال ممالك الكرة الارضية – هي جغرافية عمومية عني بتأليفها حضرة الاديب الفاضل حسن افندي نصوح من مستخدمي الدائرة السنية ذكر فيها اقسام الارض وممالكها وطبقات دولها واحوالها العامّة والخاصّة وضروب سياساتها وتواريخها واسهب في الكلام على جغرافية مصر واحوال اهلها وتربتها وحكومتها وتاريخها وكل ذلك في ترتيب واضح المسلك حسن المتابعة والتنسيق فجاءت كتاباً وافياً كثير الفائدة ينيف على ٥٧٠ صفحة كبيرة

فنحثّ المستفيدين وطلبة المدارس على اقتناء هذا المؤلَّف الجليل وهو يباع في اشهر مكاتب القطر وثمنهُ ثلاثون غرشاً مصرياً

رواية صلاح الدين – لم يبقَ في ادباء القطر من لم يشهد تمثيل هذه الرواية البديعة لما حازتهُ من الشهرة والاستحسان عند كل من حضر تمثيلها ووعى مناظرها وفصولها وهي احدى الروايات التي دبّجتها يراعة الشاعر الناثر نجيب افندي الحداد الكاتب المشهور وقد طبعها في هذه الايام اجابةً لطلب الكثيرين من الادباء وتداركاً لما طرأ عليها من تحريف النسّاخ والممثلين وزيادات الرواة والملقّنين مما شوّه محاسنها وألزم مؤلفها ما لم يكن لهُ بهِ عهد

وقد اطرفنا بنسخةٍ منها كانت عندنا من انفس الذخائر   وأحقّها بأن تُجمَع عليها يد الحرص وانما يُحرَص على الجميل النادر   حتى اذا فتحنا خزانة أعلاقها   واخذنا نقلّب الطرف في ودائع اوراقها   اذا في ضمنها هديّة اخرى لا تتعلق بها هديّة الورق والمداد   ولا يقاس بها ما أُودعتهُ من الفُكاهة والادب وان كانا مما يُشرَى بالطريف والتلاد   فقد صدّرها باهداء هذا الاثر النفيس الى صاحب هذه المجلة   مزفوفاً بين ثوبين من خالص الحبّ ورفيع التجلّة   في كلامٍ كان على فؤادنا اعذب من الماء الزلال   قد حوى من جميل المعاني ما لا يُستغرَب مثلهُ من ابن اختٍ في خال

وما نحسبهُ اختصّنا بهذه الطُرفة الحسناء دون من اشار اليهِ من ذوي الثراء الطائل   الاّ تنزيهاً لها عن ان تعادَل بثمن او تقابَل بنائل وتنبيهاً على ان امثال هذه الجواهر اكرم من ان تُبذَلَ فيها الاعراض واجلّ من ان يُتزلّف بها الى احدٍ لنيل غرضٍ من الاغراض   فما اجدرنا ولا كفاء لها عندنا يقابَل بهِ هذا الاهداء   ان نوفّيها ما يستحقّ مثلها من التقريظ والثناء   على أنّا لا نقول فيها الا الحقّ وان بلغناهُ فحسبها بهِ مغنياً عن الاطراء

اما سياق الرواية فانهُ مبتكرٌ من عند مؤلفها لم ينقلهُ عن عربيٍّ ولم يقلّد بهِ اعجمياً ولم يودعها من غير بنات افكارهِ سوى الوقائع التاريخية التي مثّلها للابصار حتى كأنّ حاضرها من شهود تلك الاعصار وقد البس كلّ مذكورٍ فيها ثوبهُ الذي يبرز بهِ باخلاقهِ وصفاتهِ ووضع على لسانهِ الكلام

الحريّ بان يدلّ على سجيّتهِ وموضعهِ وحسبك من ذلك ما مثّل به السلطان صلاح الدين من سعة الحلم ودماثة الاخلاق وعلوّ الهمة ورحب الصدر والعدل المتناهي والشجاعة المقرونة بالحكمة والحزم ممـا هو جديرٌ بمثل هذا الملك العظيم ومما لا يُبلَغ مثل منزلتهِ بين الملوك الاّ بمثلهِ من الصفات والخلال

اما عبارة الرواية فاول ما نصفها بهِ انها عارية من هذا السجع الثقيل الذي يلتزمهُ اكثر المؤلفين في هذا الفن وغيرهِ لقصورهم عن اجادة الكلام المرسل فيموّهون على الاسماع بتلفيق تلك الاسجاع مما يضطرّهم احياناً الى اتيان ما لا داعي لهُ من السياق فيخرج بالكلام عن المقصود او يشوش المعنى على السامع بكثرة ما يرد عليهِ من التخليط . على ان هذه الرواية لا تخلو من مواضع قد درج فيهـا على السجع المتين الفواصل المحكم الوضع وذلك حيث يقتضيهِ السياق مما كان فيهِ وصف واقعةٍ مهمّة او امرٍ خطير او تمثيل شيءٍ من حركات النفس وانفعالاتها اذ السجع نوعٌ من الشعر لا يحسن الا في مقامات التخيل وحيث يتلاعب المنشئ بضروب المعاني فيأتي بالاستعارات والكنايات وغير ذلك من فنون التعبير . وقد وجدنا كلامهُ في كل ذلك واضح المنهج سهل الاسلوب خالياً من الحشو والتعقيد مع حسن اختيار الالفاظ وتوخي المانوس منها في النثر والنظم

واما شعرها فغالبهُ في الغاية من الجودة وحسن السبك مع ابتكار كثيرٍ من المعاني بحيث انهُ على كثرتهِ فيهـا وعلى كون مقام النظم في مثل هذا ممـا يتكلفهُ الشاعر اذ لا باعث عليهِ من نفسهِ ولا محرّك لهُ من وجدانهِ تراهُ مطّرد المحاسن غير متخلفٍ عن النهج المطبوع ولولا ضيق

المقام لاوردنا من شواهدهِ ما يكون فكاهةً للمطالع على ان في شهرة هذه الرواية وكثرة تداولها ما يغني عن ايراد الشواهد

وهناك جهاتٌ أُخر يتنبه لها العارفون بهذا الفن وروابطهِ اكتفينا منها بما ذكرناهُ فانا لو اردنا استيفآء الكلام على جميع محاسن هذه الرواية لطال بنا القول الى ما لا يحتملهُ هذا المجال. على اننا مع ما ذكرنا لها من الحسنات لا ندّعي لها انها بنجوةٍ عن مطارح النقد ولكنك اذا اعتبرت انها اول رواية وضعها من عند نفسهِ كما صرّح بذلك في مقدّمتها وانهُ راعى في كثير منها فهم العامّة مما يقضي عليهِ بالتساهل احياناً في وجوه التعبير لم تعدم لهُ في جنب ذلك عذراً

فنحن نهنئهُ على ما اصاب بقوّة ذكآئهِ من الشهرة الحسنة والذكر البعيد ونتمنى لهُ من لباس السلامة ما يبشر الآمال منهُ بالخلف الحميد ان شآء الله تعالى بفضلهِ واحسانهِ

اسئلة واجوبتها

دمشق ـ منذ ثلاثة اشهر فشت عندنا علة الجُدري ولا تزال الى اليوم تفتك ببعض الناس ولا سيما بالفتيان والفتيات وقد اصيب بها كثيرون ممن تطعموا او اصيبوا على اثر التطعم فما السبب في ذلك وكيف تتقى غائلة هذا الدآء

احد المشتركين

الجواب ـ لا خلاف في ان الوقاية من هذه العلة لا تكون الا بالتطعيم

واما الذين اصيبوا على اثر التطعيم فلا شك ان العدوى كانت قد سرت اليهم قبل ذلك وكانوا عند التطعيم في طور الحضانة . واما الذين اصيبوا وكانوا مطعمين من قبل فاما ان تطعيمهم كان بمادّة غير صالحة او كانوا قد مضى عليهم من الزمان ما ازال قوة الطعم لانهُ من المقرر ان التطعيم يبطل تأثيرهُ بعد مدّة ولذلك لم يكن بدٌّ من اعادة التطعيم بعد سبع سنين

فاقوس ـ قد راينا كثيراً من كتب اللغة غير وافية بالمرام بمعنى ان الانسان قد لا يهتدي الى معنى بعض الالفاظ فيها فهل لكم ان ترشدونا الى كتاب يفي بالمطلوب

محمد سيد احمد

كاتب في محكمة فاقوس

الجواب ـ اتمّ كتب اللغة التي بين ايدينا اليوم لسان العرب وتاج العروس ومع ذلك فان غالب ما فيهما لا يخرج عما ورد في غيرهما من الكتب المتداوَلة مع الاستشهاد عليهِ من كلام المتقدمين واما ما لم يفسَّر في الكتب المذكورة فقلما تجدون لهُ تفسيراً هناك . واكثر ما ورد هذا النقص في تعريف اسماء النبات والطير والسمك واصناف الحجارة واشيآء من الملابس والحلى مما لم يزيدوا على تعريفه بالجنس او تفسيرهِ بقولهم معروف... وقد كان هذا الخلل من جملة ما توقعنا سدّهُ من المجمع اللغويّ المعهود بل هو أهمّ ما كان ينبغي صرف العناية اليهِ ولقد نفخنا في هذا الضرم بل في هذا الحمم ما استطعنا فلم يزدنا على البرد والخمود ولعلّ لنا عودةً الى ما سألتم عنهُ ان شآء الله

فكاهات

رواية

السرّ الغريب[1]

كان لاحد سراة الانكليز واعاظم اغنيآئهم ولدٌ وحيد يقال لهُ يوسف وهو شابٌّ في الخامسة والعشرين من عمرهِ ترتسم على محيّاهُ الوسيم علائم النجابة وسمات الالمعية والذكآء وكان مع ما هو فيهِ من ريعان الشباب وسعة ذات اليد وتوفر اسباب اللهو والقصف والخلاعة لا يميل الى شيء من ذاك بل يتجنب حضور مآدب الكبرآء واجتماعاتهم ويكره ما كان عليهِ وجهآء بلدهِ واغنيآؤهُ من الانهماك على الملذات والملاهي وانفاق فضل اموالهم على ما لا يجلب محمدةً ولا يُعقِب اجراً . وكان كل همهِ منصرفاً الى عمل الخير ومؤاساة ذوي الفاقة والمسكنة فكان يستعيض عن مجالس اللهو بتعزية البائسين ويعدل عن مخاصرة الحسان الى الاخذ بايدي العاجزين وكان في اكثر الايام يزور محلاَّت الخير فيوزع ما شآء الله من المبرّات الى ان حملهُ حبهُ للاحسان على ان انشأ مدرسةً لليتامى والبائسات كان يكفلهنّ فيها من مالهِ ويعلمهنّ على نفقتهِ الخاصّة

واتفق في احد الايام أن دُعي الى تلك المدرسة لشهود حفلة امتحانٍ

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

لتلميذاتهـا فاجاب مسروراً وبعد الفراغ من الامتحان دُعي للغدآء فقبل شاكراً وجلس الى رأس المائدة وجلست حواليهِ رئيسة المدرسة والمدرّسات يليهنّ سائر البنات ولما نهضوا عن المـائدة اخذ يتنقل بين اولئك التلميذات يلاطف قلوبهنّ ويلقي عليهنَّ اعذب كلمات التعزية وفيما هو يتمشى معهنَّ مدّ يدهُ الى جيبهِ يلتمس ساعتهُ فلم يجدها فوقف حائراً مبهوتاً ورأت الرئيســة علامات الانقباض على وجههِ فسألتهُ عن ذلك فاخبرها انهُ فقد ساعتهُ وانهُ انما يأسف عليها لانها كانت التذكار الوحيد الذي آثرتهُ بهِ والدتهُ قبل وفاتها. فاستآءت الرئيسة لذلك وامرت بتفتيش جميع الغُرَف التي دخلهـا يوسف فاقبل الجميع يفتشون فلم يجدوا شيئاً وسألت التلميذات عنهـا فانكرنَ انهنَّ رأينها فبلغ الغيظ منها كل مبلغ وامرت بان تفتَّش البنـات واحدةً واحدةً فأُخذ في التفتيش الى ان بلغت النوبة الى احـداهنَّ وكانت اجملهنَّ صورةً والطفهنَّ شعوراً فلما دعتهـا الرئيسة تقدمت الى الامام وقالت أُقسم اني لم أرَ الساعة ولا اعلم عنها شيئاً ولذلك ارجو ان لا تفتشوني ثم خنقتها العبرة فرثى لها الحاضرون الا ان انكارها التفتيش احدث فيهـا بعض الظن فابت الرئيسة الا ان يجري عليها ما جرى على صويحباتها وتقدمت اليها ووضعت يدها في جيبها فاذا بصرّةٍ كبيرة فيهـا فاخرجتها والشرر يتطاير من عينيهـا وتقدم الجميع ليروا ما هناك ولما فتحت الصرة اذا فيها قطعةٌ من اللحم الذي كانوا يا كلونهُ . ولا حاجة الى وصف ما اعترى تلك الفتاة من الحيآء عند انكشاف هذا الامر امام ذلك الجمهور الا انها تمالكت نفسهـا للدفاع عن شرفها وقالت لهم ابى الله ان اكون سارقةً فليس ذلك من شيمتي ولا انا

في حاجةٍ اليهِ لاني كنت معكم على المائدة آكل ما شئت كما اني لم ابرح كذلك في كل وقتٍ من فضل هذا السيّد العظيم ولكن لي والدةً ارملة مسكينة تمرّ عليها تارةً ايامٌ ولا تذوق القوت فلما جلسنا الى المائدة ورايت الوان الطعام الشهي لم تطاوعني نفسي ان اتلذذ بهِ وانا اعلم ان والدتي تشتهي بعضهُ فاخذت نصيبي منهُ وخبأتهُ بقصد ارسالهِ اليها . ثم شرقت بدمعها فانقطعت عن الكلام واثر هذا الحادث في نفوس الحاضرين تأثيراً شديداً ولا سيما يوسف الذي أُخذ برقيق عواطفها فودّع وخرج وقد انساهُ هذا الامر ساعتهُ . ولما بلغ البيت دخل توًّا الى غرفتهِ فراى ساعتهُ على المائدة وكان قد سها عن أخذها فزادهُ ذلك تأسفاً مما جرى في المدرسة ولا سيما لاجل تلك الفتاة ورجع للحال معتذراً

وكانت هذه الحادثة مقدّمة لتعلق يوسف بالفتاة وكان اسمها أليس نخصها بمزيد عنايتهِ والتفاتهِ ولا سيما بعد ما ماتت والدتها ولما اتمت دروسها اعلن ميلهُ الى الاقتران بها لما تحلت بهِ من الادب والتعقل والعواطف الشريفة وآثرها على بنات اعظم الشرفآء واوسعهم ثروة . ولما بلغ هذا الخبر والد يوسف قام لهُ وقعد وتهدد ابنهُ بالطرد والحرمان اذا اصرّ على مزج دمهِ الشريف بدم فتاةٍ خاملة النسب الا ان ذلك لم يكن ليثنيهُ عن عزمهِ فلم يبطئ ان اتم عقدهُ عليها. ولما عاد بها الى البيت تلقاهُ والدهُ بالسخط الشديد وطردهُ من منزلهِ وقال لهُ انك من الآن لست ابني ولا اعرفك بل احظر عليك ان تتخذ اسم أُسرتنا الشريفة التي حاولت حطّ مجدها وكرامتها فاغرُب عني ولا تُرني وجهك بعد الآن ولا تطمع في رضايَ عنك فليس لك عندي

الا اللعنة فلتُمطِر السماوات عليك غضبها ولتسدّ الارض في وجهك ابواب رزقها ولتمت منسياً بين الطبقات السفلى كما اخترت لنفسك ثم اقفل في وجهيما الباب ودخل

ولم يكن يوسف مترقباً لمثل هذه المقابلة فوقف هنيهةً مبهوتاً ثم قفل راجعاً بزوجتهِ فاكترى لهُ منزلاً اوى بها اليهِ . ولما لم يكن في يدهِ شيءٌ من المال توجه الى المصرف (البنك) فوجد ان اوامر ابيهِ قد سبقتهُ الى هناك بان لا يعرفوهُ ابناً لهُ ولا يعطوهُ شيئاً من النقود اذا طلب فقصد جماعةً من معارفهِ فصدُّوهُ لعلمهم بانهُ قد صار فقيراً عاجزاً عن الوفآء ولما سُدَّت في وجههِ المسالك غادر بزوجتهِ المدينة الى احدى القرى فاتخذا لهما بيتاً حقيراً يسكنانهِ

وقضي على يوسف بعد ذلك ان يدأب في تحصيل قوتهِ وقوت زوجته فلم يجد في تلك القرية الاّ حدّاداً دخل في خدمتهِ وجعل يساعدهُ في صناعتهِ فيقضي نهارهُ بين ضرب المطارق ومقاساة حرّ النار فلا يأتي المسآء الا وقد كاد يهلك جسمهُ النحيف من الجهد والتعب فوق ما هو فيهِ من مناصبة الهموم . وكان اذا عاد الى البيت يجهد في اخفآء ما عاناهُ ويبش في وجه زوجتهِ لئلا يزيدها على ما هي فيهِ من الكرب وكذلك هي كانت تقضي نهارها في البكآء فاذا عاد اليها في المسآء استقبلتهُ بوجهٍ طلق وثغرٍ باسم . الا انهُ لم يطل عليهِ ذلك حتى اثّر التعب في بنيتهِ وشعر بألمٍ في صدرهِ فكتمهُ عن أليس وتحملهُ بتمام الصبر وكانت هي بعد أن ينام تسهر عليهِ وتقرأ في هيئتهِ رسم الاتعاب والآلام فيذوب فؤادها حزناً . ولما كان ذات ليلةٍ شعرت أليس بشدّة أوجاعهِ وتململهِ فجلست الى جانبهِ واخذت تقبلهُ وتغسل وجههُ

بدموعها فأفاق بغتةً واذ رآها على تلك الحال تنهد من قلب جريح وقال لها يا أليس انا مائتٌ ولا مطمع لي في الحياة بعدُ. لقد كنت ارغب ان اجعل حياتكِ سعيدةً فعاندني القدر ولست أشك ان هذا الموت ليس الاّ جزاء ما جلبت عليكِ من الاتعاب التي كنتِ بمعزلٍ عنها فاغفري ذنبي يا أليس وأسمعيني الكلمة الاخيرة من فيكِ انكِ قد صفحتِ عني

وكانت الدموع تمنع أليس من النطق فانحنت عليهِ وقبلتهُ قبلةً افادت ما طلب فقال احمد الله اني اموت الآن مسروراً ثم ضمها الى صدرهِ واسلم الروح

واستمرّت أليس بعد ذلك تتقلب بين الفاقة والاحزان الى ان انتحل جسمها واشتد عليها الضعف والهزال وكانت قد قربت ايام ولادها فدعت كاهن القرية وقصّت عليهِ تاريخ حياتها وسألتهُ ان يعتني بها الى ان تلد فان عاش ولدها ربّاهُ تحت كنفهِ وان مات دفنهُ واياها بجانب ضريح زوجها لانها ايقنت ان اجلها قد صار قريباً

وبعد ذلك بايام قلائل اخذها الطلق فاستدعى لها الكاهن طبيباً فوضعت ولداً ذكراً ثم ادركها الاغماء من الضعف وشعر الطبيب ان في احشآئها طفلاً آخر فعالجها ببعض المنعشات فوضعت طفلةً ايضاً ولم تقوَ بعد ذلك على الاحتمال فقالت اتيتك يا يوسف وفاضت روحها. وبحث الكاهن بين امتعتها فلم يجد شيئاً ذا قيمةٍ سوى خاتمين نُقش على احدهما اسم يوسف وتاريخ زواجهِ وعلى الآخر اسم أليس فأخذهما مع الطفلين الى منزلهِ وكتب الله لهما الحياة فعاشا وصنع الكاهن لهما سلسلتين من الذهب فعلق خاتم الاب في عنق الابن وسماهُ يوسف وخاتم الامّ في عنق البنت وسماها أليس

ولم يكن الكاهن قادراً على كفالة الولدين طويلاً فاعلن بوجود هذين اليتيمين عندهُ فتحننت احدى الخواتين واخذت أليس اليها وادركت الشفقة قلب احد الاطبآء وكان شيخاً عَزَباً فاخذ يوسف وهكذا افترق هذان الطفلان قبل ان يعرف احدهما الآخر وقبل ان يعرفا شيئاً من العالم

وترعرع يوسف في حجر الطبيب وهو يظنهُ اباهُ ولما كبر ارسلهُ الى احدى المدارس الجامعة يتلقى فيها علم الطب فخرج طبيباً ماهراً . وحينئذٍ دعاهُ مربيّهِ واعلمهُ انهُ ليس بابيهِ ولكنهُ وجدهُ يتيماً فآواهُ وكفلهُ حتى صار قادراً ان يستغني بنفسهِ . ثم اخرج لهُ مئة دينار فدفعها اليهِ وقال لهُ اذهب الآن فتعاطَ صناعتك واستعن بهذه الدنانير الى ان تستتبّ امورك وأسأل الله ان ياخذ بيدك ويوفق مسعاك

وكان يوسف يميل الى مزايلة انكلترا والاقامة بالبلاد الفرنسوية فودع مربيهُ بعد ما شكرهُ على صنيعتهِ ثم سافر اليها وقصد قريةً فاقام بها يتعاطى صناعتهُ على ما يقسم الله لهُ . واتفق انهُ دُعي في احد الايام لمعالجة امرأةٍ عجوز من الاغنيآء فلما دخل منزلها رأى فيهِ فتاةً بديعة الجمال فحالما وقع بصرهُ عليها تعلق بهواها ووقع منهُ في فؤاد الفتاة مثل ما وقع في فؤادهِ منها. ومذ ذلك اليوم اخذ يكثر من التردد الى بيت العجوز ولمحت العجوز منهُ ذلك ففاتحتهُ في قصدهِ فاعترف لها بحبهِ للفتاة وانهُ يودّ ان يخطبها لنفسهِ. فقالت لهُ اني لا امنعها منك ولكن لا بدّ بعد عقد خطبتك عليها ان تسعى في جمع ما يكفيك ويكفيها فان الفتاة ليست بذات ثروةٍ كما تظنّ . ورأى يوسف ان دخلهُ لا يمكنهُ من الوصول الى مبتغاهُ الاّ بعد زمنٍ

طويل فاهتمّ ان يتوصل الى ما يزيد رزقهُ وكان في ذلك الحين قد تفشى الوبآء في الهند واخذت الحكومة الانكليزية تبحث عن اطبآء توجههم الى هناك باجور وافية نخطر لهُ ان يسافر في جملة اولئك الاطبآء فيغيب سنةً ثم يعود بما يُقسَم لهُ من المال ولم يلبث ان ودّع خطيبتهُ وامها وركب غارب السفر

واقام يوسف مدة بالهند جمع فيها ما شآء الله من المال ثم همّ بالقفول الى فرنسا. وكان قد تعرف في محل اقامتهِ بفتاةٍ انكليزية يقال لها لوسيل فاحبتهُ ومنت نفسها بالاقتران بهِ ولما تمكن الانس بينهما كاشفتهُ بما في صدرها فاخبرها ان لهُ خطيبةً تنتظرهُ في فرنسا وانهُ لو لم يكن ملَّكها قلبهُ من قبل لم يتوقف عن موافقة ميلها وجعلها شريكة حياتهِ . فشقّ ذلك على الفتاة وقالت لهُ أمّا وقد كُتب هذا الحظّ لغيري وحُرمتهُ انا فلست بساعيةٍ في ابتغاء غيرهِ ما حييت ولست بمُريتك وجهي بعد الآن حرصاً على حبّك لذلك الملَك الذي قُسم لهُ ان يسعد بك دوني غير اني ساجهد ان احظى من محياك بنظرةٍ بعد اخرى بدون ان تراني

وكان هذا الشاغل الجديد مما دعا يوسف الى تعجيل السفر فلم يلبث ان ركب البحر قاصداً فرنسا ورافقهُ في الباخرة فتى من مولَّدي الانكليز في الهند يقال لهُ فيليب وهو مسافر الى وطن آبائهِ يطلب لهُ زوجةً من ابنآء جنسهِ . ولما بلغت الباخرة السويس ارست هناك يومين فنزل يوسف وصاحبهُ الى البرّ وقضيا تلك الفترة فيهِ ولما استأنفت الباخرة مسيرها تفقد يوسف صناديقهُ فوجد مالهُ مفقوداً . فلما رأى ذلك اسودّت الدنيا في وجههِ وجلس مكتئباً يندب مستقبلهُ والزمان الذي قضاهُ سدًى ولم يذق في ذلك

اليوم طعاماً ولا فارق مجلسهُ . ولما كان صباح اليوم الثاني دخل بهو الباخرة فجلس الى مائدةٍ هناك واخذ رقعةً يكتب فيها كتاباً الى رفيقهِ فيليب يقول فيهِ

اخي فيليب ـ اتيت الهند لتحصيل ما يُقسَم لي من المال وقد جمعت الفاً من الدنانير وعدت بها لاقترن بمالكة لبي فوجدت امس ان ما جمعتهُ قد سُرق مني ولا امل لي في الحصول عليهِ . واذ لم يبقَ في امكاني الرجوع الى الهند لتعويضهِ ولا يسعني القدوم على خطيبتي وانا صفر اليدين فقد عزمت على ان اغادر حياةً لا خير لي فيها ولم يكن نصيبي منها الا الشقآء . والآن اناشدك الله ان تقصد خطيبتي وتخبرها بامري وتعلمها بان طلبي الاخير قبل مماتي هو ان تتخذك قريناً لها بدلاً مني لانى قد اختبرتك وعرفتك ولا احبّ لها سواك . اما انا فلا تصلك رقعتي هذه الا بعد ان تكون المياه قد غمرت جسمي والاسماك قد نهشت لحمي فاستودعك الله

ولما فرغ من الكتابة غاص في تأملاتهِ واذا برقعةٍ قد سقطت امامهُ على المائدة فتناولها فاذا هي حوالةٌ باسمهِ على مصرفٍ في فرنسا بقيمة خمسين الف دينار غير انهُ لم يستبن اسم محوّلها ونظر حواليهِ فلم يرَ احداً فقام للحال يبحث في نواحي الباخرة فلم يصادف بشراً . فرجع الى مكانهِ وكأن اليتم والذل لم يمنعا جري الدم الشريف في عروقهِ فرأى من الدناآءة ان يقبل عطية من شخص يجهلهُ ففكر قليلاً ثم تناول القلم فزاد على كتابهِ الى فيليب ما يأتي

اخي فيليب ـ في هذه اللحظة وصلت اليّ من يدٍ اجهلها الحوالة التي تراها في درج كتابي ولما كنت لا احب الانتفاع بها لجهلي صاحبها فقد رأيت ان احيلها اليك فاجعلها هديةً للتي ستقترن بها . ثم طوى الكتاب

ودخل غرفتهُ فلم يرهُ احدٌ حتى المسآء . ولما خيم الظلام والباخرة تمخر عباب البحر وقف يوسف على جانبها ثم القى نظراً مودعاً الى جهة فرنسا وتنهد من قلبٍ اسيف وهمّ بالوثوب واذا بيدٍ من حديد قد امسكت بهِ فدفعتهُ الى الورآء وصوتٍ انثويّ رخيم يقول لهُ اشفق على حياتك اكراماً لي . فالتفت يوسف وتبين التي تكلمهُ فاذا هي الفتاة التي احبتهُ في الهند فتعجب غاية العجب وقال لها ما اتى بكِ الى هنا.قالت اني عاهدتك ان لا اريك وجهي ولكني لم اعاهدك ان لا اتبعك وابلّ غليلي برؤيتك وقد اوجدتني العناية في هذا الموضع لتخليص حياتك . ثم قالت لهُ اني فقدت ابويَّ في الهند وترك لي والدي ثروةً طائلة وقد رايت كثيراً من الفتيان فلم امل الى غيرك وقد تبعتك لاقضي بقية عمري في بلادٍ تكون انت فيها . ولقد رايت ما كنت فيهِ من القلق ثم رايت ما كنت تكتبهُ مما اعلمني سريرة حالك فاحببت ان امدّك بمقدارٍ يسير من مالي لعلهُ يفرّج عنك . والآن فاني ارجو ان تقبل هذا المال مني وستكون هذه آخر مرةٍ تواجهني فيها غير اني لا افارقك حتى تقسم لي بشرفك ان تمزق ما كتبتهُ الى فيليب ولا تحاول الايقاع بنفسك مرةً اخرى . وكان كلامها الساحر وهيئة اخلاصها يبكمان يوسف عن مراجعتها فاقسم لها على ما طلبت واكبّ على يدها فقبلها شاكراً ثم شردت عنه كالظبي النافر ولم يعد يراها

ولما رست الباخرة في مرسيليا ونزل ركبها الى البرّ وقف يوسف يترصد لوسيل فلم يقف لها على اثر فركب القطار مع فيليب وتوجه الى البلد الذي فيهِ خطيبتهُ . فتلقتهُ الفتاة وأمّها وجلس بعضهم الى بعض يتشاكون النوى

وبينما هو يحدثهما لمحت العجوز في عنق يوسف شيئاً لامعاً فسألتهُ عنهُ فاراها السلسلة والخاتم المنقوش عليهِ اسم والدهِ وتاريخ زواجهِ فلما رات ذلك ارتعشت وتغير لونها الا انها لم تبدِ كلاماً . وبعد ذلك طلب يوسف التعجيل في عقد قرانهِ على أليس فقالت لهُ امها اني ساغيب يومين في خارج البلدة فأعدِد أهبة العرس الى ان اعود . ولما كان اليوم الثالث وقد جلس يوسف الى جانب خطيبتهِ وبازآئهما فيليب وهما يتحادثان في امر مستقبلهما ويبنيان قصوراً في الهوآء اذا بالوالدة قد دخلت وعلى وجهها آثار تنازع العوامل المتحركة في صدرها وقبل ان تبدأهم بالسلام التفتت الى يوسف وقالت لهُ عسى ان لا تكون قد اتممت اهبتك يا عزيزي . فقال بل قد اتممت كل شيء ولم يبقَ الاَّ حضوركِ للعقد . قالت بل حضوري سيكون سبب امتناع العقد لانهُ من المحال ان تكون أليس زوجةً لك . فبُهت يوسف لهذا الكلام وقد استطير فؤادهُ وقال ولِمَ ذلك. فقالت اعلم ان أليس ليست ابنتي ولكنها ابنةٌ يتيمة اخذتها بعد موت والديها فربيتها وتبنيتها وقد عقدت خطبتك عليها ولكني علمت الآن انها لا تحلّ لك لاني تيقنت انها شقيقتك . فلما قالت ذلك بُهت الجميع وساد السكوت حيناً ثم عادت العجوز الى الكلام فاخبرتهم انها قصدت الكاهن الذي اخذت الفتاة منهُ فاستخبرتهُ عن تاريخها وتاريخ اخيها وعن الطبيب الذي تبنّاهُ فعلمت ان يوسف خطيب أليس هو نفس اخيها ثم قابلت بين السلسلتين اللتين في اعناقهما والخاتمين فلم يبقَ في الامر ريبٌ وحينئذٍ قام يوسف الى شقيقتهِ فعانقها وما غنم ان زفها الى صديقهِ فيليب

وبعد ذلك بايام بينا كان يوسف في حديقتهِ يناجي افكارهُ اذا بالخادم يستأذنهُ

لسيّدةٍ تريد مواجهتهُ فاذن لها فلما دخلت اذا هي لوسيل صاحبتهُ بالهند فتلقاها محتفلاً ثم دعا شقيقتهُ وصهرهُ فاخبرها بما كان من امرهِ وامرها فلم يدعاها تبرح مكانها حتى اتمّا عقد قرانهِ عليها

وفي ذات يوم وردت على يوسف رسالةٌ برقية من لندرة تستدعيهِ لأمورٍ مهمة فسافر وفي صحبتهِ فيليب والعروسان بقصد التسلي والنزهة وكان الداعي لهُ احد اشراف الانكليز فذهب اليهِ ولما مثل امامهُ اذا هو شيخٌ كبير ملقًى على سريرهِ .فسألهُ الشيخ عن شقيقتهِ وكانت اليس مع رفيقيها تنتظرهُ في العربة فدعاها ولما صارا كلاهما بحضرتهِ تحامل اللُرد بما بقي لهُ من القوة وقام فجثا امامهما فنهضا في الحال ورفعاهُ فضمهما بين ذراعيهِ وقبلهما قائلاً انا ذاهب لأسأل اباكما الصفح عن اساءتي ثم اخذهُ من قوّة العواطف في تلك الساعة ما لم يحتملهُ ضعفهُ فانحنى عليهما واسلم الروح

ووُجد هناك رسالةٌ باسم يوسف ففضها فوجد في جملتها حكاية ما قاسى الشيخ من تبكيت ضميرهِ على ما فعلهُ بولدهِ الوحيد وما بذل من السعي في البحث عن آثارهِ وفي الختام يمنح يوسف ما سلب من والدهِ وهو لقب لُرد اف بدفُرد وكل املاكهِ وثروتهِ . فبكوهُ جميعاً واستمطروا على نفسهِ الرحمة والرضوان وسكن يوسف وزوجتهُ دار جدّهِ واسكن شقيقتهُ وزوجها بقربهِ ثم نقل ضريح والديهِ الى حديقتهِ فكان يزورهُ كل يوم ويعطرهُ من عبراتهِ ولم ينس ان يكافئ الكاهن والطبيب والعجوز التي ربّت شقيقتهُ وسار على خطة والدهِ في عمل الخير والمبرّات الى آخر حياتهِ